و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

الديان لا يموت

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٥/٣/١٧ هـ

الديان لا يموت

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله..

عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-: [أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قال: يُحْسَبُ مَا خَانُوك وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوك وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الفَضْلُ .قالَ :فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-:"أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ**{وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَال}** (الأنبياء: ٤٧)"، فَقَالَ الرَّجُلُ :َوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَهُمْ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ][1]

هذا الحديث نموذج لما سنمر به يوم القيامة، حتى عند خيانة العبد للرجل وعصيانه والكذب عليه، كان للحكم حالات، فقال إن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم، أي كان العقاب أدنى مما اقترفوا، فأنت محسن إليهم، وذاك فضل الله لك.

وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم، أي بالضبط كما أذنبوا، فليس لك ولا عليك.

وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، أي أن العقاب كان أكبر مما اقترفوا من ذنوب،اقتص لهم منك، وقرأ الرسول **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ}** (الأنبياء،47)

وهذا الجزاء العدل لهذا الاقتصاص حتى في مقايضة العقوبة، هو جزء من معنى اسم الله عز وجل الديان، وقيل كما تدين تدان، وحديثنا في هذا الدرس في ظلال هذا الاسم.

الديان اسم من فعل دان، أي انقاد وذل، فالذي دان له الناس وانقاد له الناس ودان له القوم هو الديان،

وهذه صيغة مبالغة، وجاء منه قول الله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}(الفاتحة، 4)والدين في الآية الجزاء والحساب، أي مالك يوم الجزاء والحساب والحكم، والمبالغة تفيد أنه لن يعمل عامل كائنا من كان بأمر من الأمور، إلا أن الله سيقتص منه، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

خويلد بن نوفل الكلابي، كان شاعرًا، جاء إلى ملك الغساسنة، وكان ظلومًا جائرًا، واسمه الحارث بن أبي شمر، جاء إليه بعد أن ظلمه مظلمة، فأنشد: "يا أيها الملك المهيب أما ترى ليلًا وصبح فيك يختلفان؟

هل تستطيع الشمس أن تأتي بها سيرًا؟ وهل لك في الصباح يدان؟

اعلم وأيقن أن ملكك زائل، واعلم بأنك كما تدين تدان."

1[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح الإسناد].

ولذلك الكفار حينما أنكروا البعث والجزاء، قالوا كما جاء في الآية،قال الله عز وجل: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ} (الصافات، 53)مدينون أي نرجع ونحاسب ونجازى، والديان مختلف عن الحسيب، فالحسيب من يحاسب فقط، أما الديان فهو الذي يتخذ القرارات فيكافئ المحسن ويعاقب السيء،

قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه: [إِنَّ اللَّهَ لَيَدِينَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى الشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ بِقَدْرِ مَا اعْتَدَتْ عَلَيْهَا](2)

إن الله ليدين الناس يوم القيامة بعضهم من بعض، حتى الشاة الجماء من الشاة القرناء التي طرحتها، فتخيل هذا الحساب الدقيق العدل، الذي لن يكون فيه إنسان وظلمته تحشرج في صدره، سواء من شخص وقف في طريقك، أو من مشرف أنقص التقييم، أو فلان بهتك وكذب عليك، فلا يوجد إنسان يوم القيامة إلا وتظل مظلمته تحشرج في صدره، حتى البهائم يحشرون، ويحييهم الله عز وجل، ويقتص لما بينهم، ثم يقول لهم كونوا ترابًا فيكونون،

وفي هذا يقول الحليمي عن اسم الله الديان: **هو المحاسب والمجازي، والذي لا يضيع عملًا، يجزي بالخير خيرًا وبالشر شرًا**، قال تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (15) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (16)} (الروم)

عندما تقرأ عن مصير أهل الجنة وأهل النار، اسأل نفسك دومًا، أين أنا؟ وفي أي فريق سأكون؟ وعملي أين سيذهب بي؟ وعندما يقتص الله الديان مني حقوق العباد فأين سأكون؟

يقول الله عز وجل:{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)} (الزلزلة)

الحساب يكون يوم القيامة والاقتصاص، يكون بمثاقيل الذر، وهي كحبات الغبار، جزء من مائة جزء من حبة الرمل الواحدة، ليس لها وزن.

جاء لمعاوية بن قرة بطعام، فأكل منه للعشاء ثم تركه بعد ذلك، فلما أصبح وجده أسود من الذر، وكأن موجة من الغبار جاءت من فوقه، فأخذ الأكل فوزنه ليرى كم أصبح وزنه مع الذر، ثم كشط عنه الذر ورجع ليزنه، فلم يجد فرقًا ولو بمقدار شعرة، فالميزان يوم القيامة يستطيع أن يزن هذا الذي لم يزنه في الدنيا، جاء في تفسير هذه الآية: {يومئذ تحدّث أخبارها}قال عبد الله بن مسعود: "أن تتكلم فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحى إليّ به، وأذن لي فيه"، وقيل أنّ معنى تحدّث أخبارها: "ذلك أن الأرض تحدث أخبارها، من كان على ظهرها من أهل الطاعة والمعاصي، وما عملوا عليها من خير أو شرّ" (3).

هذه السورة القصيرة التي نقرأها في الفريضة، نمر عليها مرور الكرام، ونحفظها أبناءنا، **هي سورة مهيبة**، لأن الله عز وجل يخبرنا فيها أن الأرض يومئذ تحدث أخبارها، لا تتحدث عن الأحداث الكونية التي جرت عليها، وإنما تتحدث عن كل إنسان وما فعل فوقها، ماذا فعل حينما نزل من السيارة، وأين ذهب، وعلى الكرسي الذي جلس عليه، وفي مجلس أصحابه، وكل صغيرة وكبيرة من أعمال العباد، تشهد عليها، وليست الأرض فقط من تشهد، فقائمة الشهود

2[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط].

3يُنظر: تفسير الطّبري

يوم القيامة طويلة، يقول الله عز وجل:{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25)}**(النور)** فالجلد يشهد، والسمع يشهد، والبصر يشهد، ويقول الله عز وجل في آية أخرى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20)}**(فصلت)** ومعنى كلمة يوزعون أي يجمعون بعضهم إلى بعض،

وفي هذا الموقف تشهد عليهم جلودهم بما فعلوا في الدنيا، وبما أتوا من معاصي، فيستغربون كيف لها أن تتلكم، ثم يشهد البصر فيسألونه كيف لك أن تتكلم، قال تعالى:{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (22)}**(فصلت)** أي أنك لم تختبئ وتستح من نفسك في الدنيا، فكنت تدك الأرض دكًّا، فرحًا بما تفعل، وظننت أنها ستمر كما مرت أشياء كثيرة، أو ظننت أنك ستعيش إلى ذلك الوقت الذي ستتوب فيه،

ثم يرد الله تعالى بقوله: {وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ} (فصلت، 23) ونحن نتواصى الآن، حتى لا نندم في تلك اللحظة، ولنظن بالله عز وجل ظنا يرضيه، فنحن حينما نعرف أسماء الله الحسنى ونتعرف على اسمه الديان، ووقعه في حياتنا، وما الذي يجب تغييره في ظل هذا الاسم، ولنعرف حقيقة قول النبي-عليه الصلاة والسلام- في حديث أبي هريرة -رضي الله **عنه**-: [إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة][4]، فمن يعيش بهذه الأسماء كمنهج حياة، لا يمكن إلا أن يكون من أهل الجنة، ويقول الله عز وجل في آية أخرى بنفس السياق، في سورة الكهف، السورة الي نقرأها في كل جمعة: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} (الكهف، 49)

وسمعت من الشيخ عصام العويد تفسيرًا جميلًا لهذه الآية، أنهم عندما يقرؤون الكتاب مشفقين، فهم غير قادرين على قراءة كل مافيه، فيصد عنه لكثرة ما يحوي من تفاصيل، بالدقائق والثواني، نحن إذا جلسنا في خلوة مع أنفسنا، لمصارحة نفسك بما فعلت من ذنوب، ما استطعت أن تكمل، وذهبت لتلهو بشيء آخر، لثقل ما تقترفه أيدينا، فكيف بذلك الكتاب الذي ستقرأه وأمامك الله عز وجل، والملائكة عن يمينك وشمالك، والشهود من ورائك، والأمم تحاسب، **فكيف سيكون الحال في ذلك الموقف؟**

انظر إلى حرص الصحابة على سماع الأحاديث والعمل بها، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- سمع عن حديث معين لدى عبد الله بن أنيس، فركب إليه من المدينة إلى الشام، وقيل في مصر حسب رواية أخرى، واشترى بعيرًا لأجل ذلك، فلما وصل إلى الباب، قال للذي ببابه:"قل جابر عند الباب" وكانوا قد افترقوا بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال له:"أجابر بن عبد الله الذي في المدينة؟" قال: نعم، فخرج وهو يطأ ثوبه من الشوق، يعني بالكاد

4[أخرجه البخاري: صحيح]

يمشي ويسقط من ثوبه لشدة الحماس، قال:"فاعتنقني واعتنقته" وقال له:"هناك حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله، فخشيت أن تموت أو أن أموت قبل أن أسمعه" ثم حدثه بهذا الحديث:

عن عبد الله بن أنيس -رضي الله عنه- أنَّه سمعَ النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول:[يَحْشُرُ اللهُ العِبادَ يومَ القيامَةِ - أو قال :الناسَ- عُراةً غُرلاً بُهْماً."قال :قلنا: وما بُهْماً؟ قال" :ليسَ معَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يناديهِمْ بصوتٍ يسْمَعُه مَنْ بَعدَ كما يسمَعُه مَنْ قَرُبَ :أنا الديَّان، أنا المَلِكُ، لا يَنْبَغي لأحَدٍ مِنْ أهْلِ النارِ أنْ يدخُلَ النارَ ولهُ عندَ أحدٍ مِنْ أهلِ الجنَّة حقٌّ؛ حتى أَقُصَّهُ منه، ولا يَنْبغي لأحَدٍ مِنْ أهْلِ الجنَّة أنْ يَدْخُلَ الجنَّة ولأَحَدٍ مِنْ أهلِ النارِ عندَه حَقٌّ حتى أقُصَّهُ منه، حتى اللَّطْمَة."قال :قلنا: كيفَ، وإنَّما نأْتي عراةً غُرْلاً بُهْماً؟ !قال :"الحسَناتُ والسَّيِّئَاتُ."][5]

وغرلا أي يرجعون إلى خلقتهم الأولى، ليس معهم شيء، كل الناس عن بكرة أبيهم من عهد أدم -عليه السلام- إلى يوم القيامة، وكلهم سواسيه، فسأل الصحابة كيف سيكون الاقتصاص ونحن هكذا عراة، غرلا، بهما، ليس معنا شيء من الدنيا، لا مال، ولا ملك، فقال: "بالحسنات والسيئات"

وهذا الحديث عظيم، ولذلك سافر عبد الله بن جابر لأجله، فلا يدخل أحد الجنة، حتى لو كان من أهل الجنة، ولو كان صالحًا، وكان له ظلم، أو غيبة، أو افتراء، ولم يتب، وما كان له شيء من الحسنات، فلا بد من القصاص.

وهناك ذنوب لا يغفرها الله، كانت هناك امرأة، وظهر شيء من جمالها، أو جمال يدها، أيا كان، ففتن بها الرجل وهو يناولها الأقمشة، فلم يتمالك نفسه وأمسك بيدها، فارتعشت يدها، ونزعها مباشرة، وتاب وأناب، ثم رجع إلى بيته وهو يفكر بما فعل، فحكى لزوجه الذي حصل، وقال لها دخلت علي امرأة اليوم، وكان كذا وكذا، فضحكت وقالت: أتعرف السقاء الذي يأتينا في الدار، قال: نعم، فقالت: دومًا ما يأتينا وأضع له قربة الماء على الباب، وهو يضع الجديدة ويأخذ القديمة، فلما وضعت القربة كعادتنا اليوم، دفع الباب وأمسك يدي ثم نزعها، فقالت له: دقة بدقة، ولو زدت لزادت الصعقة، يعني لو تماديت لتمادى أكثر، وهذا مما تتهاون به الفتيات، مطالبات الرجال أن يمسكوا أنفسهم عن الحرام، ولكن الله أحل وحرم لحكمة، فهو خالقنا وعالم بنا، ويقال أن الكأس الذي تشربه لا تشربه لغيرك، لأنه لابد أن يأت يوم فتشربه أنت، وهذا اسم الله الديان وهو من أسمائه الحسنى.

وأسماء الله إما أن ندعوا بها دعاء مسألة، أو دعاء عبادة.

<u>فأما دعاء المسألة: فهو أن تسأل الله بهذا الاسم</u>، فمثلًا في الرحمن تقول: يا الله ارحمني، ويا غفار اغفرلي، ويا كريم أكرمني، والديان يسأل به عندما يتعرض الإنسان للظلم، وحينما يشعر بالجور والقهر، وعندما لا يعطيه أحد حقه، فيقول: يا ديان اقتص لي، يا ديان خذ لي حقي، إلا أن يعفو ويصفح وهذه مرتبة أعلى.

<u>وأما دعاء العبادة، هو أن تعيش وتعبد الله طوال حياتك</u>، وفي كل ساعات يومك، وأنت مستحضر لاسم الله عز وجل الديان أمامك، سواء بالقلب، أو اللسان، أو الجوارح، فيعلم الإنسان أنه محاسب على ما ينظر إليه، وعلى ما يسمعه، وعلى ما يفعله بيده، أو يبادر له برجله، وعلى كل ما يصدر منه خطوة بخطوة، وكل شيء سيحاسب عليه حتى يلقى الله عز وجل، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:["أتدرون ما المفلس؟

5[أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: حسن لغيره].

"قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال "إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه. ثم طرح في النار](6)

جاءتني واحدة بعدما تحدثنا عن هذا الحديث في درس سابق، وقالت: "أنا تبت من الغيبة ولكني لا أستطيع إمساك نفسي، وهذه فاكهة المجالس"، إذا لم يمنع الإنسان نفسه لأنه يعلم أن الديان سيقتص لهذا، فما الذي يمنعك؟!

الموضوع ليس سهلًا، لكنه يأتي بتربية الإيمان بالنفس، فتخيل لو أنك صمت يومًا من أيام النافلة، وتعبت فيه تعبًا شديدًا، وتخليت عن قهوة مع الأصدقاء، وفطور مع الأهل والأحباب، ثم في جلسة بعد الفطور اغتبت أحدًا، وافتريت عليه، وأدخلت زيادة على القصة، وأصبحت قصة أخرى، فهذا اليوم الذي صمته بتعبه ومشقته، تذهب حسناته لمن اغتبته وافتريت عليه، لأن القصاص يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات، فيدفع الثمن من هذه الاعمال الصالحة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأحد مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ](7)

وهذا حديث واضح بالذي يحصل، وفي هذا يدخل من يضر الآخرين بالسحر، أو العين، أو غيرها من المظالم، من معاملة الخدم، ومن هم تحت إمرتك من موظفين ورعية، سيقتص الله عز وجل لهم، فالحسنات التي نقوم بها قليلة، وما يقبل منها أقل، والتي تكون خالصة لوجه الله أقل، فتخيل من جبال الحسنات يوم القيامة كلها ماذا بقي لك؟ فيقتص الله من تلك الحسنات الخالصة المتقبلة.

لما نزل قول الله عز وجل:{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31)}(الزمر)، قالَ الزبيرُ: "يا رسولَ اللهِ! أتُكرَّرُ علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟" قال:[نعم] فقالَ: "إنَّ الأمرَ إذًا شديدٌ" (8)

ففي كل خصومة في الدنيا يقف فيها الاثنين عند الله عز وجل، وتتكرر عليهم الخصومة، حتى يقتص للمظلوم من الظالم، فلا يمكن لشيء يفعله الإنسان إلا أن يجازى عليه، إلا أن يتحلل بعضهم من بعض،

ولو حدث وما زال في نفس أحدهم شيء، فيرجعون ويفقون، ويكون هذا الاختصام عند الله عز وجل، قال تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ...}(الأعراف، 8) والوزن أي بمثاقيل الذر فلا يظلم هذا الإنسان شيئا ولو كان مثقال ذرة.

فحينما يكون الاقتصاص بهذه الطريقة، **تكون الخصومة بين ثلاثة أمور**:

إما أن يقتص الإنسان ممن ظلمه واحدة بواحدة: فلو سبه ورد له السب بمثل ما قال فقد اقتص منه، ولو زاد بكلمتين أو ثلاثة، يصبح ظالما، بدل أن يكون مظلوما.

أما الأمر الثاني وهو أن يعفو لوجه الله: يقول الله عز وجل:{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ...}(الشورى، 40) وما الذي يجعل الإنسان يعفو بدل أن يأخذ حقه، إلا أنه بعفوه يعفو الله الكريم عن ذنوبه، وهذا كان نهج السلف في الخصومة.

6[أخرجه مسلم: صحيح].

7[أخرجه البخاري: صحيح].

8[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسن الإسناد].

وأما الأمر الثالث أن يزيد ويصل للإحسان: قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ} **(المؤمنون، 96)**،

جاء في حديث أبي ذر -رضي الله عنه-: [أنّ النبي رأى شاتين تنتطحان فقال: "يا أبا ذرّ هل تدري فيم ينتطحان؟" فقال: لا، قال: "لكنّ ربك يدري، وسيقضي بينهما يوم القيامة] ([9])

وهذا بين البهائم، فكيف بما بين البشر! فيخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر.

وقول الرسول وسيقضي بينهما، مثل البلسم على القلب، حينما تشعر أنه لا يوجد أحد عالم بحجم القهر والظلم في قلبك، ومهما تكلمت ومهما شرحت، لكن الله يدري بك ويعلم حجم ما في قلبك.

عن ابن عباس -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلّم-: [يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخُب دمًا، يقول: يا رب سَلْ هذا: فيمَ قتلني؟] ([10])

تخيل هذا الموقف، ولا مهرب للقاتل حينئذ، يأتي طوعًا، ويقف بين يدي من استضعفه في الدنيا، فيقول: ياربي سل هذا لما قتلني؟ قتل جسدي، أو معنوي، أو روحي، حينها بماذا سيجيب؟ هل يستطيع التهرب كما فعل في الدنيا؟ هل سيقول لم أقصد وفعلت خطأ؟

وقال أبو سعيد الخدري في هذه الآية: {ثم إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} (الزمر، 31) "**كنا نقول -نحن الصحابة- ربنا واحد، وديننا واحد، ونبينا واحد، فمن أين الخصومة؟**" ([11])، فأبو بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- كانوا أكثر من أصحاب، قلوبهم ليس لها شبيه، فكانوا يتساءلون كيف سينزل الخصام،

فلما مات الرسول -عليه الصلاة والسلام- ومات الخليفة، ووقعت الفتن بين المسلمين، عرفوا الخصومة،

قال الشافعي -رحمه الله-: "**بئس الزاد إلى المعاد، العدوان على العباد** " فأسوأ ما يقابل العبد به ربه، أن يعتدي على عباد الله عز وجل، وليس فقط أن يكون استحضار اسم الله الديان بالقول والفعل، حتى حركة الشفاه دون صوت، وغمزة العين، ورفع الحاجب، فكل تعبير أو إيماءة له ثمن،

قالت عائشة -رضي الله عنها-: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال لها: [لقد قلتي كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته] ([12])، لمرارة ما فعلت، فلن يطهره ماء البحر كله، وهي لم تفعل شيئًا كبيرًا بمنظورنا، أشارت بيدها فقط، تعني إحدى قصيرات القامة، ولم يكن في بالها أنه استهزاء، بل وصف عام، فعلى الإنسان الانتباه.

وأما الأمر الثاني من أمور التعبد به، فهي أنك تسلى به، وتعرف أنه لا يمكن أن يصيبك شيء من القهر، أو الحزن، أو الهم، إلا نصرك الله واقتص لك.

كان هناك سائق، وركب معه شيخ، فلما رأى السائق سمت الشيوخ، سأله: "من تخونه زوجته ما ذا يفعل؟" فسكت الشيخ ثم قال: "على حسب الموضوع"، وأخذ يسحب الكلام من فم السائق، فقال: "أنا سائق تكسي، أعمل اثنتي

9[أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: إسناده صحيح].

10[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح]

11يُنظر: تفسير الكشاف للزمخشري

12[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

عشرة ساعة في اليوم، وأعود للبيت منهكًا في آخر النهار، أتناول العشاء، وأنام، تزوجت امرأة أصيلة، ذات حسب ونسب"،

وفي يوم قام من نومه ووجدها تتحدث بالهاتف، فعرف أنها تخونه حتى وصل الأمر إلى الزنا، يقول: "فلما عرفت، هممت لأرفع يدي وأقتلها، تذكرت شيئًا وصفقت الباب، وخرجت، ووقفت عند دار الإفتاء في الأزهر، وانتظرت حتى تفتح أبوابه، ولما فتح دخلت وسألت الشيخ: ماذا يفعل من تخونه امرأته؟" قال له:"الفعلة السوداء التي فعلتها زوجتك، فعلتها أنت في يوم من الأيام"، فسكت، ثم قال له:"كان هذا قبل إحدى عشر سنة، بفتاة أخرى، بعدها تزوجت وانتهى الموضوع" قال الشيخ:"هذه بتلك" فخرج وهو مكسور، رجع إلى بيته، ووجد أم زوجته في المنزل، تطلبه أن يفعل بها ما يشاء، إلا أن يخبر والدها المريض، لكنه لم يفعل شيئًا، فداخله مكسور، قد حوسب على فعل فعله قبل سنين، لأنه لم يتب منه، فهو لم يترك فعل هذا إلا لأنه تزوج واكتفى، ولم يتب مما فعل، فكان لا بد من قصاص للذنوب، إذا لم يتب عنها.

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ --صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: [التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَه] ([13])، فلو تبت واستغفرت لذنبك، وعزمت أن لو رجع بك الزمان، ورجعت بك الأحداث، والظروف، فلن تقدم على هذا الذنب، لن يقتص الله منك، ولكننا نذنب ونترك، ونعتقد أن الذنوب تنسى، وأنها تتقادم، وتسقط مع التقادم، يقول الله تعالى:{أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}(المجادلة، 6)

نحن ننسى ولكن الله يحصي.

<u>شروط التوبة:</u>

1- الندم على ما فعل، وهذا الندم ليس ندمًا عاديًا باردًا فاترًا.
2- العزم على ألا يعود إليه مهما كلفه الأمر، وألا يعلق هذه التوبة بزمان أو مكان.
3- ألا يعود إليها أبدًا لو تكررت الظروف، ورجع إلى الموقف نفسه.
4- إعادة المظالم لأصحابها لو كان ذنبه فيه مظلمة في حق من حقوق العباد.
5- أن تكون التوبة في زمن الإمكان، وهو قبل أن تطلع الشمس من مغربها.

فمن تاب وحسنت توبته، فلن يحاسبه الله عز وجل، ولهاذا فإن اسم الله الديان فيه سلوة للنفس، لأنك تعلم أن الله وإن لم يدعو المظلوم على ظالمه، سيقتص منه، يقول الله عز وجل:{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}(إبراهيم، 42)

فالإنسان إذا كان يتعامل مع الناس باسم الله الديان، سيتوخى فيهم العدل والإنصاف.

دخلت فاطمة على زوجها عمر بن عبد العزيز، فوجدته في مصلاه، ويده على خده وتسيل دموعه، فقالت:"يا أمير المؤمنين لشيء حدث؟" أي ما بك، هل هناك شيء حدث، فقال:"يا فاطمة، إني تقدمت أمر أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فتفكرت في الفقير والجائع، والمريض والضائع، والعارية والمظلومة، والمقبور والغريب، والمأسور

13[أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: حسن]

والكبير، وذي العيال في أحقار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم محمد -صلى الله عليه وسلم- فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي، فبكيت"([14])،

وحينما قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في خلافته: "لو أنّ جملًا، أو قال شاة، أو قال حملًا، هلك بشط الفرات، لخشيت أن يسألني الله عنه"

فهؤلاء عاشوا في ظلال اسم الله الديان، عرفوا أن الله سيدينهم ويحاسبهم على مسؤولياتهم التي ولووا عليها، وحينما نسمع مثل هذه الأقوال، فلا تعتقد أنك غير مشمول بها، راجع الدائرة التي تحيط بك، والتي ستسأل عنها، زوجك، وعيالك، وأهلك، وأصحابك، يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:[كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه]([15]) ومسؤول أي سيسأل عنهم،والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيته، وستحاسب عن كل طفل، وكل ولد، وكل بنت، عن تربيتهم هل أحسنت أم لا، وعن شؤونهم كيف قامت بها،

هناك آباء يعرفون أن أبناءهم قد تكون فيهم من العلل النفسية ولم يعالجوها، لأن "مالهم خلق" وقد تكون هناك ابنة هي بحاجة إلى نوع من الاهتمام والرعاية والتفقد، فإذا لم تكن الأم موجودة، فمن سيستلمها؟ هل تسلمها لأي شخص يحتضنها؟ أم للعالم الافتراضي لتسد فراغها به؟

والولد يصبح ويمسي على جهازه، تمسك برأسه، فتشعر بذبذبات مثل الكهرباء، ولما تسألهم يقولون "عادي" كيف لهذا الأمر أن يكون عاديا! هل عرفت ماذا يشاهد طفلك بعيدًا عنك؟ والعالم الخارجي يضخ جام سمومه في هذه الأشياء،

حتى إذا ما كبر، وأصبح في السادسة والسابعة عشر من عمره، فلا تستطيع فعل شيء، لأنه شب ومن شب انتهى، فيجب ملاحقتهم والقيام بنوع التربية الذي يناسبهم، يجب غرس المبادئ والقيم، والاهتمامات العليا، ومراقبة الله، ولذلك لم يكن جلوس المرأة في بيتها، والقيام بأمر أولادها أمرا هينا، وهو باب من أبواب الجنة، كمقام المجاهدين الذين خصوا بباب، وكل عمل له باب، والمرأة الراعية لبيتها لها باب للجنة أيضا، وهذه مسؤولية الأمهات، فعليها البلاغ والقيام بالأسباب، وعلى الله الباقي، فمن شاء الله هداه ومن شاء أضله.

آثار اسم الله الديان:

الرضا بحكم الله الشرعي، والقدري، والجزائي:

أما الشرعي: فالرضا وعدم التجبر على حكم الله عز وجل، فإذا عرفت أن الله أوجب شيئًا، فأرخ نفسك لهذا الحكم، ولا تتجبر ولا تتكبر،

فعندما نؤمر فعلينا الطاعة، لا أن نحكم أنفسنا، فتخيل أن تطلب من طفلك أمرا، فيقول لك: سأفكر ثم أرد عليك، وهذا ما بين الأب وابنه، فكيف بما بين الرب وعبده!

فالله يعرف مصلحة العبد وما هو خير له، قال الله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}(الأحزاب:36)

14يُنظر: سير أعلام النبلاء للذّهبي

15[أخرجه البخاري: صحيح]

<u>أما أمر الله القدري</u>: فهو موت الأحبة، وفقدان الغوالي، أو الأمراض والجوائح في المال، والنفس، والولد، أيا كانت،

فحينما يأتي أمر الله القدري، فعلينا التسليم والرضا، والعلم أن الله لم يحكم بهذا الشيء إلا لحكمة.

فمن عاش بظلال هذا الاسم، وجعله نصب عينيه، فلابد أن تختلف حياته،

هذا وأسأل الله عز وجل، أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاه.

والحمد لله رب العالمين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها